

أضواء البيان

@ 16 @ الآية الكريمة : أن أصحاب الأعراف قالوا لرجال من أهل النار : يعرفونهم بسيماهم لم ينفعكم ما كنتم تجمعونه في الدنيا من المال ، ولا كثرة جماعتكم وأنصاركم ، ولا استكباركم في الدنيا . .

وبين في مواضع أخر وجه ذلك : وهو أن الإنسان يوم القيامة ، يحشر فرداً ، لا مال معه ، ولا ناصر ، ولا خادم ، ولا خول . وأن استكباره في الدنيا يجزيه به عذاب الهون في الآخرة ، كقوله . { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ } ، وقوله : { وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا } ، وقوله : { وَكُلُّهُمْ عَاتِيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } ، وقوله : { فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } . ! 77 ! قوله تعالى : { يَوْمَ يَأْتِي تَأْويلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } . .

بين تعالى في هذه الآية الكريمة : أن الكفار ، إذا عاينوا الحقيقة يوم القيامة يقرون بأن الرسل جاءت بالحق ، ويتمنون أحد أمرين : أن يشفع لهم شفعاء فينقذوهم ، أو يردوا إلى الدنيا ليصدقوا الرسل ، ويعملوا بما يرضي الله ، ولم يبين هنا هل يشفع لهم أحد ؟ وهل يردون ؟ وماذا يفعلون لو ردوا ؟ وهل اعترفهم ذلك بصدق الرسل ينفعهم ؟ ولكنه تعالى بين ذلك كله في مواضع أخر ، فبين : أنهم لا يشفع لهم أحد بقوله : { فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ } ، وقوله : { فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } ، وقوله : { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } مع قوله : { وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } ، وقوله : { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى الْفَاسِقِينَ } ، وبين أنهم لا يردون في مواضع متعددة ، كقوله : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَهَذَا كَرِهَ الْغَافِلُونَ } ، وقوله : { وَالْقَوْلُ مِنْهُ لَأَنَّهُمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } رضي الله عنه .

فقوله : { وَلَآكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنْهُ لَأَنَّهُمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ } . .

دليل على أن النار وجبت لهم ، فلا يردون ، ولا يعذرون ، وقوله { وَهُمْ يَمْطَرُونَ }
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُنْعِمْ بِكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الذِّكْرُ
. . }

فصرح بأنه قطع عذرهم في الدنيا . بالإمهال مدة يتذكرون فيها . وإنذار الرسل ،